التحولات الاجتماعية في إيران وأثرها في قيام الثورة الدستورية

الأستاذ المساعد الدكتور
خليل إبراهيم صالح
المشهداني
جامعة بغداد - كلية الآداب

المقدمة:

ان التحولات الاجتماعية التي شهدتها إيران(*) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وما نتج عنها من تطورات فكرية وسياسية بين الشرائح الاجتماعية لاسيما البرجوازية الوطنية (البازار) والفئة المثقفة من المفكرين والمصلحين والمؤسسة الدينية التي ارتقت الى مستوى متطلبات المرحلة ، كل ذلك هيأ الظروف المناسبة لقيام الثورة الدستورية .

تسلط هذه الدراسة الضوء على الخلفية التاريخية لمقدمات الثورة الدستورية (١٩١١-١٩٠٥) ، التي تعود بداياتها الى أوائل القرن التاسع

(*) كان يطلق على ايران اسم بلاد فارس ، الى ٢٢ اذار ١٩٣٥ ، عندما اصدر رضا شاه بهلوي قراراً بتغيير الاسم من بلاد فارس الى ايران .
دونالد ولبر ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد المنعم محمد حسين ، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص١ .

عشر، ذلك ان الاحداث الكبيرة لا يمكن ان تلد بين عشية وضحاها . فقد تأثر تطور الوعي الفكري والسياسي بسلسلة من العوامل الداخلية والخارجية التي وضعت إيران على اعتاب مرحلة مهمة في تاريخها الحديث.

دخلت إيران مرحلة الاصلاح والتغيير بعد تصاعد حدة المعارضة لنظام الحكم القاجاري بسبب حالة الضعف والانحلال التي لم يعد معها قادراً على مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وازاء هذه الاوضاع كان لزاما على القوى الوطنية ان تأخذ دورها في انقاذ ما يمكن انقاذه من سيادة البلاد ومقدراته الاقتصادية التي اصبحت نهبا للامتيازات الاجنبية في وقت كان ملوك إيران منهمكين ليس من اجل معالجة مشكلات البلاد وانما لتحقيق رغباتهم الشخصية .

وفي خضم هذه المتغيرات نشط المفكرون والمصلحون في تشخيص مساوئ النظام القاجاري وعندما اتت الظروف الذاتية والموضوعية كلها اندلعت الثورة الدستورية لتؤشر بداية مرحلة جديدة ليس في تاريخ إيران الحديث فحسب ، وانما على صعيد المنطقة كذلك .

تعد حقبة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين احدى اهم مراحل تاريخ ايران الحديث في ظل الحكم القاجاري [١] . (١٧٩٦-١٩٢٥) ، وذلك لما شهدته ايران من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية . ولان طبيعة نظام الحكم القاجاري قائما على نمط العلاقات الاقطاعية في ادارة مؤسسات الدولة ، والحكم الملكي الاستبدادي المطلق فلم يعد قادرا على ابعاد ايران عن مؤثرات القوى الاجنبية وتدخلها في شؤون البلاد الداخلية ورسم سياستها الخارجية ، لاسيما وان ايران تتمتع بموقع جغرافي حيوي حيث تمتد حدودها الشمالية مع روسيا والجنوبية على الخليج العربي وخليج عمان الامر الذي جعل ايران تحت رحمة المطرقة الروسية من الشمال ، والسندان البريطاني من الجنوب ، وانطلاقا من مصالح الدولتين الاقتصادية والسياسية كان لابد من توثيق علاقاتها مع حكام إيران [٢] .

أدت سياسات الملوك القاجار[٣] الى حدوث تداعيات انعكست سلبا على أوضاع إيران الداخلية ، وغالبا ما كانت تلك السياسة تعبر عن نزعتهم الذاتية بعيدا عن مصالح الشعب [٤] ، لاسيما وأن الذين حكموا في النصف الأول من القرن التاسع عشر لم تكن لهم مؤهلات ادارية او عسكرية ، الامر

الذي ادى الى دخول ايران في حروب مدمرة وخاسرة مع كل من روسيا[٩] وبريطانيا[١٠].

في هذه الاثناء كانت ايران تعيش مرحلة تحول فكري واجتماعي واقتصادي حملت البذور الأولى لنهضة حديثة [٧] . وعلى الرغم من التوقعات التي اشارت الى قرب الانهيار السريع والسقوط للدولة القاجارية نتيجة للاحداث التي شهدتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر والعقد السادس من القرن نفسه ، الا ان الحكم القاجاري استمر لمدة اطول على الرغم من حالة الامتعاض التي عانى منها الشعب الايراني ؛ وذلك نتيجة للدعم الذي قدمته كل من بريطانيا وروسيا حرصا منهما على استمرار مصالحهما في إيران [٨] .

كانت بريطانيا تريد ابقاء ايران تحت نفوذها لتكون الخط الدفاعي عن الهند [٩] ، في حين كانت روسيا تخشى من امتداد النفوذ البريطاني الى المقاطعات الشمالية من ايران المطلة على سواحل بحر قزوين حيث منطقة النفوذ الروسي ، الامر الذي حتم على ملوك ايران قدر المستطاع الى اعتماد دبلوماسية الموازنة في العلاقات مع كل من بريطانيا وروسيا[١١].

في الوقت الذي كانت فيه ايران بامس الحاجة الى من يقود البلاد بروح تنسجم مع الظروف التي كانت تحيط بايران ويتسم بعقلية تستوعب روح العصر وذو حكمة في ادارة شؤون البلاد ، الا ان مثل هذه المؤهلات لم تتوفر في حكام الدولة القاجارية ، لذلك كانوا السبب في الازمات التي شهدتها ايران بدءا من اغا محمد خان (١٧٩٧-١٧٩٦) ، الذي قامت سلطته على البطش واراقة الدماء ولم يبد أي اهتمام بادخال الاصلاحات الادارية والعسكرية لذلك تعرضت ايران الى الانهيار العسكري في عهد فتح علي شاه (١٧٩٧-١٨٣٤)[١٢].

وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك من الشخصيات التي كانت على درجة عالية من الوعي والادراك وادت دورا مهما في هذه الحقبة من تاريخ ايران يأتي في المقدمة الامير عباس ميرزا [١٣]الابن الثالث لفتح علي شاه الذي عرف بقدراته الادارية والعسكرية المتميزة ، فكان بحق الرجل الأول في الدولة ، فقد ادرك عباس ميرزا بعد الخسارة الكبيرة التي تعرضت لها إيران في حروبها مع روسيا ، ان سبب ذلك يعود الى الحالة المتردية التي

كانت عليها المؤسسة العسكرية ، لذلك أولى اهتمامه بتحديثها قبل كل شيء ، فكان ميالا الى حركة التجديد والاصلاح للارتقاء بالجيش الايراني من حيث التدريب والتسليح ، وادرك ان ذلك لن يتحقق الا عن طريق ارسال البعثات العلمية الى الخارج [١٣].

كانت البداية بارسال اثنين من الايرانيين في سنة ١٨١١ للدراسة في الغرب ، وارتفع العدد في سنة ١٨١٥ الى خمسة [١٤]. وبذلك تكون بوادر النهضة الحديثة قد شهدتها ايران في عهد ولي العهد الامير عباس ميرزا ، ولم تقتصر اعماله على ارسال البعثات الى اوربا ، فقد اسس المطابع ، وتم طبع الكتب باللغة الفارسية التي تناولت حياة نابليون بونابورت وبطرس الكبير والاسكندر ، فكانت أول محاولة للاطلاع على تجارب الشعوب وشخصياتها ويبدو ان مدة ولاية الامير عباس ميرزا لاقليم تبريز القريب من اذربيجان الروسية ، والذي كان من اكثر مناطق ايران تقدما ومنفذ ايران في تجارتها الخارجية فكان لذلك الاثر الكبير في سياسة الانفتاح التي اعتمدها عباس ميرزا[١٥]. وتطلع الى احداث تحولات مهمة في بنية المجتمع الايراني وادخال الاصلاحات في المؤسسة العسكرية لتكون بمستوى التحديات ، الا ان المنية عاجلته في ٢٢ تشرين أول ١٨٣٣، وبوفاته فقدت ايران احد اهم قادتها واكثرهم اهتماماً بضرورة العمل على تحديث ايران وابعادها عن تأثير القوى الاجنبية الطامعة بخيراتها [١٦].

ولم تكن شخصية ميرزا ابو القاسم قائمقام الذي تولى مهمة الصدر الاعظم باقل تأثيرا من ، عباس ميرزا ، في الحياة الاجتماعية ، فقد كان بحق رجلا وطنيا مخلصا ومبدئيا نزيها ذو ثقافة عالية ، وذلك ليس غريبا لانه ابن ميرزا برزك [١٧]الذي عرف باسم قائمقام ، الوزير الأول لمحمد علي شاه (١٨٤٨-١٨٣٤) ، فكان له دورا في اعادة النظام لمؤسسات الدولة ، لذلك فقد سار ميرزا ابو القاسم على نهج ابيه في معالجة مشكلات الدولة [١٨]، ولمواقفه الوطنية فقد كان في مقدمة من عارض منح الامتيازات للدول الاجنبية ، حتى ان كامبيل Campbell القائم بالاعمال البريطاني في طهران كتب الى وزارة خارجيته في السادس من كانون الأول ١٨٣٩ : ((أنه كان الرجل الوحيد في بلاد ايران الذي لا يمكن ان يرشى))[١٩].

وازاء هذه السياسة التي تبناها ولمواقفه الصلبة والنزيهة نشطت المفوضية البريطانية في طهران الى قيادة حملة للتشهير به وانه لا يستحق منصب الصدارة ، وساندها في ذلك البعض من رجال الدين الايرانيين الذين عارضوا سياسته الاصلاحية وتوجهاته العلمانية عندما طالب بعدم تدخل رجال الدين في شؤون التربية والتعليم ، فضلا عن دعوته المستمرة بضرورة اصلاح مؤسسات الدولة وتحديثها ، وبهذه الطريقة نجحت القوى المعادية له من اقناع محمد علي شاه بعزله عن الصدارة بتهمة الخيانة العظمى فامر باعدامه في ٢٦ حزيران ١٨٣٥ (٢١).

واذا كان الامير عباس ميرزا قد عالج جانبا من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، فان الحياة العامة في ايران اصبحت اكثر سوءا بعد اعدام ميرزا ابو القاسم ، ذلك لان سياسة الدولة اثقلت كاهل الايرانيين في تحصيل الضرائب ، لاسيما شريحة الفلاحين الذين تحولوا الى نموذج للبؤس والشقاء حيث كان ما يقرب من ٧٠% من الاراضي الزراعية ملكا للاقطاعيين ، وان عبئ الضرائب الباهضة كانت تفرض على الفلاحين لتحقيق اكبر قدر من الدخل لمصالحهم الذاتية (٢٢).

أدت هذه السياسة الى تزايد حالة التذمر وانتشار المجاعة مثال ذلك شهدت اذربيجان في السنوات ١٨٣٠ و ١٨٣١ و ١٨٣٥ . هجرة اعداد كبيرة من الفلاحين من الريف الى المدن طلبا للعمل بعد ان ساءت اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية (٢٣). ومما زاد من حالة التردي التي عاشها المجتمع الايراني ، انتشار ظاهرة الرشوة في معظم مرافق الدولة، واصبحت ظاهرة عامة جلبت انظار المراقبين الاجانب ، فقد جاء في احد التقارير البريطانية : ((يمكن شراء أي من الوزراء او الموظفين الكبار ببضعة تومانات دون اية مبالغة))(٢٣).

وفي خضم هذه الاوضاع المضطربة ، فقد الايرانيون الشعور بالامن والاطمئنان على ارواحهم وممتلكاتهم ، فكانوا معرضين في أي وقت للمداهمة من قبل اجهزة الدولة الرسمية او غيرها او مصادرة ممتلكاتهم من دون أي سبب مشروع (٢٤).

يرجع هذا التصرف من قبل الاقطاعيين وملاك الاراضي في التعامل مع الفلاحين والعاملين لديهم ، الى تنامي تركز القوة السياسية والاقتصادية

والقضائية في ايدي الاقطاعيين [٢٤]. عندها يمكن ادراك مدى معاناة الشعب الايراني اذا عرفنا ان الحرفة الرئيسة هي الزراعة فقد بلغ سكان الريف ٧٩% في حين سكان المدن ٢١% ، ولان الضرائب كانت المصدر الرئيس للدولة فقد أمعن المسؤولون في النظام القاجاري استحصالها بأساليب شتى [٢٦].

وبصورة عامة وضعت هذه السياسة الشعب الايراني في فئتين احداهما تتمتع بكل الامتيازات وتمتلك الثروات والاعفاء من الضرائب وتستئثر بالمناصب ، في حين تحملت الفئة الأخرى عبئ الضرائب ومحرومة من حقوقها الاساسية [٢٢].

أدت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي عانى منها المجتمع الايراني الى البحث عن حلول ومعالجات ، وعندما تشتد الازمات يلجأ الانسان في وقت المحن والظروف الصعبة الى الجانب الروحي بوصفه الملاذ الاخير . وفي الحالة التي كانت فيها ايران وبعد سلسلة من الحروب والمعاناة الاجتماعية والاقتصادية ظهرت حركة اجتماعية مناهضة للنظام القاجاري ، تلك هي الحركة البابية التي اسسها ميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٨١٩-١٨٥٠)[٢٨].

ولد ميرزا علي محمد رضا في شيراز من عائلة تجارية وتتلمذ على يد رجل الدين كاظم الرشتي في كربلاء ، وبعد وفاة استاذه كاظم الرشتي عام ١٨٤٣ ، فشل في نشر افكاره في كربلاء [٢٩]، عندها توجه الى مكة ومنها الى ايران ١٨٤٤ وادعى بانه (الباب) الى الامام المهدي المنتظر(ع) فتوجه بافكاره الى المجتمع الايراني ، لاسيما وانه قد اكد على اتباعه بضرورة اشاعة العدل والمساواة ومنع الاستغلال ، فوجدت تلك الافكار والمبادئ استجابة واسعة بين مختلف شرائح المجتمع الايراني ممن عانوا من الظلم والقهر والاستغلال [٣٠].

ان سرعة انتشارها بين الالاف من الايرانيين توضح مدى حالة السخط والتذمر التي كان عليها ابناء المجتمع من جراء سياسة النظام القاجاري ، فكانت تلك البداية التي شجعت الايرانيين بالخروج والثورة على الملوك القاجار[٣١].

نجح ميرزا على الشيرازي في اثارة مشاعر الناس وتعاطفهم معه وتأييد افكاره ، واستغل ذلك فوجه انظار الناس الى حالة الفساد التي كان عليها حكام ايران ، والى البعض من الزعامات الدينية ، واعلن لاتباعه انه اصبح الان المرآة التي يستطيع المؤمنون ان يروا من خلالها ((الله))!![٣٢].

تصاعد نشاط الحركة البابية واتسع نفوذها ، وأخذت تهدد ليس السلطة فقط بل مكانة رجال الدين بعد ان شككت في دورهم الاجتماعي ومعالجة مشكلاتهم ، وللحد من تأثيره بين اوساط المجتمع تم سجنه في اذربيجان عام ١٨٤٧ ، الا ان مكانته تعاظمت في اعين اتباعه ، لاسيما بين النساء بعد ان طالب بوضعهن على قدم المساواة مع الرجال ، فضلا عن مطالبته بالغاء الحجاب[٣٣].

تزامن وصول ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) الى السلطة مع اتساع حدة خطر الحركة البابية ، فلم يكن امامه من خيار الا استخدام القوة في قمعها، بعد ان استفحل أمرها وكادت أن تهدد عرشه ، لولا حكمة وشجاعة ، ميرزا تقي خان ، أمير كبير صدره الاعظم ، وحسن تدبيره في احتواء خطرها ، وتحجيم نشاطها فقاد حملة واسعة ادت الى قتل واضطهاد إعداد كبيرة من اتباعه الذين توزعوا بين الفئات الدنيا من المجتمع وبين ابناء الطبقة الارستقراطية كذلك [٣٤].

لم يهدأ بال أمير كبير في انهاء خطر هذه الحركة ، الا بعد ان حصل من ناصر الدين شاه امرا باعدام ميرزا علي الشيرازي ، وقد تحقق له ذلك في ٩ تموز ١٨٥٠ [٣٤].

حاول اتباع الشيرازي الاستمرار في نشاطهم بعد مقتله وتصدت لهذا الدور (قرة العين) التي اتسمت بقدر كبير من الثقافة والجمال ، ووجهت عبر قصائدها الشعرية النقد للاوضاع الاجتماعية لاسيما معاناة المرأة ، فكانت في مقدمة الداعين الى ضرورة تحريرها ، الا ان (قرة العين) تعرضت هي الاخرى الى القتل خشية من استمرار نشاط الحركة البابية[٣٦].

وفي تقويم لاسباب ظهور هذه الحركة وسرعة انتشارها بين العديد من الفئات الاجتماعية الايرانية ، على الرغم من ان افكار الحركة البابية ومبادئها كانت إلحادية ومعارضة للشريعة الاسلامية ، فقد عبرت عن حالة الاستياء والتذمر التي كان عليها المجتمع الايراني في ظل الحكم القاجاري.

وقد ادرك ميرزا على الشيرازي ان عملية تغيير الاوضاع الاجتماعية لا يمكن ان تتم الا عن طريق (الدين) بوصفه الجانب الروحي المؤثر في حياة المجتمع فاستغل هذا المجال في نشر افكاره الراديكالية[٣٧] للتأثير في اوساط المجتمع الإيراني. في حين نظر اليها البعض على انها محاولة لتحطيم حالة التعصب الديني المتشدد الذي كان سائداً في ايران ، للسير به نحو الاعتدال على غرار ما حدث في حركة الاصلاح الديني في أوربا ، فاستطاعت الحركة بذلك ومن خلال توجهاتها الفكرية والاجتماعية ان تستقطب الالاف من الايرانيين من بينهم اعداد كبيرة من التجار ورجال الدين (الملالي) . ولعل المنهج الذي اتبعه الشيرازي في الدعوة لافكاره بانه (النبي) الذي سيملأ الارض عدلا وأمنا واشاعة المساواة بين الجميع وغيرها من المبادئ التي وضعها في كتابه ((البيان))[٣٨].

أن القضاء على هذه الحركة وأن كان عمل مهم حققه أمير كبير وفاءا واخلاصا الى ناصر الدين شاه ، الا انها اشرت مدى الفجوة الكبيرة التي كانت قائمة بين النظام القاجاري وباقي شرائح المجتمع الايراني التي تحملت الكثير من المعاناة بسبب عدم وجود حدود واضحة لمهمات المسؤولين الايرانيين[٣٩].

أشرت هذه الحركة الاجتماعية البداية لمرحلة تاريخية جديدة كونها دعت الى ضرورة الاصلاح الاجتماعي والغاء الفوارق الطبقية وتفسير التعاليم الدينية من دون تطرف ، واجراء الاصلاحات في نظام التعليم[٤٠] حتى ان البعض من الاوربيين الذين كانوا موجودين في ايران اعتقدوا ان مبادئ الحركة البابية ستعم كل البلاد وتعصف بالنظام القاجاري [٤١].

وعلى الرغم من القضاء على الحركة البابية ، الا انها سرعت في الضغط على حكام ايران لاجراء الاصلاحات في مؤسسات الدولة لتهدئة الاوضاع الاجتماعية وللحد من حالات التمرد التي شهدتها بعض المدن الايرانية في خراسان واذربيجان [٤٢].

كان من حسن طالع ايران ، عندما ارتقى ناصر الدين شاه ، العرش في هذه الحقبة ن ان تولى صدارة البلاد أحد أهم المصلحين الذين عرفتهم ايران في القرن التاسع عشر تلك هي شخصية ميرزا محمد تقي خان الذي حصل من الشاه على لقب أمير كبير (١٨٥١-١٨٤٨) . لكفائته واخلاصة،

فقد كان مشبعا بالافكار الحرة والاصلاحية بحكم نشأته في بيت ميرزا ابو القاسم قائمقام[٤٢]، فقد كانت ابوه طباخا في بيت القائمقام، واصبح امير كبير كاتبا لديه ، وبحكم عمله احتك بالفئة المثقفة التي درست في أوربا ، فضلا عن اطلاعه على تجارب الغرب عن طريق المهام التي تولاها[٤٤].

كان أمير كبير احد اعضاء الوفد الذي زار بطرسبورغ عام ١٨٣٠ لتقديم الاعتذار للقيصر بعد مقتل غريبا يدوف A.S. Griboedov الوزير المفوض الروسي واعضاء المفوضية في طهران عام ١٨٢٩ [٤٤]. وشارك في مفاوضات اعمال لجنة الحدود الايرانية – العثمانية التي جرت في استانبول، والتي انتهت بعقد معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ [٤٦].

ومن العوامل الاخرى التي ساهمت في تعزيز امكانات امير كبير انه كان قريبا من ناصر الدين شاه عندما كان وليا للعهد في تبريز عاصمة اذربيجان الايرانية القريبة من باكو ، فضلا عن كونها بوابة ايران نحو الغرب بوصفها مركزا تجاريا مهما ، كل ذلك جعل أمير كبير اكثر وعيا وثقافة وحبا للافكار الاصلاحية ، ولذلك عندما تولى صدارة ايران ادرك طبيعة المشكلات التي كان يعاني منها المجتمع الايراني ومؤسسات الدولة، فوضع برنامجه الاصلاحي الذي اتسم بنظرة واقعية لتجاوز تلك المشكلات[٤٧].

ازدادت حدة التنافس البريطاني – الروسي على ايران مع تولي أمير كبير صدارة البلاد ، حرصا لكل منها على مصالحهما الحيوية في الهند واواسط اسيا ، غير ان الدبلوماسية البريطانية نجحت في التأثير على مجريات الاحداث الداخلية وسياسة ايران الخارجية [٤٨]. في حين ظلت روسيا ترقب الاحداث ، فلم تكن بعيدة عن مخططات الساسة البريطانيين واهدافهم في المنطقة ، فاستطاعت احتواء البعض منها ، واقتنعت بضرورة التفاهم مع بريطانيا في تسوية البعض الاخر .

في ضوء هذه المواقف اراد امير كبير اعتماد سياسة ادارية جديدة تاخذ الدولة على عاتقها مهمة اشاعة الامن والاستقرار والقضاء على حالة الفوضى التي عمت معظم مناطق ايران . وقد ادرك ان ذلك لن يتم الا عن طريق الاهتمام بالمؤسسة العسكرية وتحديث اساليب تدريبها وتسليحها، ومحاسبة المرتشين من حكام المقاطعات ، والحد من تدخل رجال الدين في الشؤون السياسية والقضائية [٤٩]، وتقليص نفوذ امراء الاسرة الحاكمة

والامتيازات التي يتمتعون بها وذلك باخضاعهم لعملية دفع الضرائب الى خزانة الدولة اسوة بباقي شرائح المجتمع الأخرى ، والاهتمام بالصناعة الوطنية وتقديم الدعم المادي لاصحاب المعامل وتشجيع الفلاحين على تنمية الزراعة وتطورها بوصفها الركيزة الاساس للاقتصاد الوطني[١]٥.

وانطلاقا من سياسة امير كبير الاصلاحية ، وبهدف تأسيس قاعدة اجتماعية تستوعب هذه الافكار وقادرة على مواكبة النهضة الحديثة التي شهدتها البلدان المتقدمة ، أولى أمير كبير اهتماماً خاصا بانشاء المؤسسات الثقافية والعلمية والتقنية [٢]٥، وفي مقدمة اعماله في هذا المجال تأسيس (دار الفنون) التي تعد اول جامعة تأخذ بالاساليب العلمية الحديثة في طهران[٢]٥وقد تم افتتاحها في ٣٠ كانون الأول ١٨٥١ ، الا ان أمير كبير قتل قبل المراسم الرسمية لافتتاح هذه المؤسسة الثقافية[٢]٥.

واستكمالا لبرنامجه الاصلاحي ، وبهدف التسريع في عملية التعليم والتحديث استقدم خبراء ومدرسين متفرغين كليا للتدريس في دار الفنون من أوربا[٤]٥. وقد تولى رئاسة الجامعة الناقد رضا قولي خان هدايت ، الذي كان بمستوى المسؤولية الفكرية والثقافية التي اسست الجامعة من اجلها ، ومع بداية تأسيسها التحق بها (١٠٠) طالب ولم تقتصر المحاضرات على جانب واحد من المعرفة ، فقد تضمنت العلوم العسكرية والرياضيات والطب والجراحة والصيدلة والجيولوجيا ، الى جانب اللغات الاجنبية ولتسهيل عملية النجاح للطلبة تم ترجمة الكتب من اللغات الاجنبية الى اللغة الفارسية [٤]٥.

اما موقف أمير كبير من رجال الدين ولغرض الحد من تدخلهم في شؤون البلاد السياسية والقضائية ، فقد عمل على ازالة احدى الظواهر السلبية التي كان يعاني منها الايرانيون تلك هي ظاهرة البست [٦]٥، لما لهذه الظاهرة من تاثير على الحياة الاجتماعية والسياسية ، وبإلغاء هذه الظاهرة نجح أمير كبير في منع السفارات الأجنبية من التدخل في شؤون ايران الداخلية وعد ذلك عملا خطيرا يهدد أهم عناصر السيادة لبلاده [٢]٥.

ولم تغب عن توجهات أمير كبير الاصلاحية فكرة تأسيس المطابع واصدار الصحف . وعلى الرغم من أن أول مطبعة تأسست في ايران عام ١٨١٦ في مدينة تبريز ، الا انها لم تأخذ مداها الثقافي في تلك الظروف

التي مرت بها ايران . وفي عام ١٨٤١ أصدر ميرزا ساليك أول صحيفة اسبوعية لتغطية احداث طهران وهذه الصحيفة هي الاخرى لم تجد الرعاية للاستمرار في الصدور ، لذلك أولى أمير كبير اهتماما خاصا بتأسيس المطابع وأصدر صحيفة (روزنامة وقائعي) في ٧ شباط ١٨٥٠[٥٩]. وقد ادت هذه الصحيفة رسالتها في نشر الثقافة وتوسيع قاعدتها بين اوساط المجتمع عبر منافذ توزيعها. وللحفاظ على جدية الموضوعات التي تنشرها الصحيفة اختار أمير كبير حاجي ميرزا اجبار، الخبير في شؤون السياسة الخارجية لرئاسة تحريرها، واسند مهمة الاشراف الفني والترجمة الى ادوارد برجيس البريطاني الاصل[٥٩].

وعلى الرغم من المعارضة الداخلية والخارجية التي واجهها أمير كبير من قبل الاقطاعيين ورجال الدين وحاشية البلاط الذين تضرروا من سياسته الاصلاحية ، والقوى الاجنبية المتمثلة بالبريطانيين والروس ، لانه حد من تدخلاتهم ، فقد حرص على الاستمرار في تنفيذ برنامجه الاصلاحي للارتقاء بالمجتمع الايراني واصلاح مؤسسات الدولة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا [٦٠].

وفي نهاية المطاف قدم أمير كبير حياته ثمنا لبرنامجه الاصلاحي ، فقد نجحت قوى المعارضة الداخلية بقيادة والدة ناصر الدين شاه مهد عليا (جهان خانم) ، في ايغال صدر الشاه على صهره (أمير كبير) بالتنسيق مع المفوضية البريطانية [٦١]، واقنعوه بانه يسعى للانفراد بالسلطة والتامر على الشاه ، فاصدر امر عزله من منصب الصدارة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٨٥١ [٦٢]. ولم تتوقف المعارضة ولم يهدأ لها البال حتى بعد ان تم اعفائه من منصب قائد الجيش ونفيه الى كاشان ، فقد واصلت الافتراء عليه الى ان تم لها استحصال امر ناصر الدين شاه باعدامه فسارعت هذه العناصر الحاقدة على تنفيذ الاعدام بطريقة بشعه في التاسع من كانون الثاني ١٨٥٢ [٦٣].

بهذه النهاية المأساوية فقدت ايران واحدا من اكثر رجالها اخلاصا وكفاءة وحماسة للارتقاء بالمجتمع الايراني ، وكان بحق الشخصية التي كانت إيران بأمس الحاجة إليها لما يمتلكه من عقلية علمية ونظرة واقعية في كيفية تصريف الامور وقيادة البلاد في خضم المشكلات التي كانت تعيشها

ايران ، الا ان القوى الحاقدة اطفئت الشمعة التي كانت ستضيء لكل ايران وستبقى الفئة المثقفة الإيرانية مدينة لتوجهات امير كبير الاصلاحية وسياسته الثقافية والتعليمية [٦٤].

ان استبداد ناصر الدين شاه وطيشه وتخلف الحاشية التي كانت تحيط به دفعاه الى عدم الاخذ باراء المصلحين وافكارهم ، لذلك تحولت ايران الى ميدان للتنافس البريطاني – الروسي طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للحصول على المزيد من الامتيازات[٦٤].

بعد ان نجحت القوى المعارضة للسياسة الاصلاحية في اقصاء امير كبير عن طريقها ، ومن اجل استعادة كامل امتيازاتها عادت هذه العناصر الى أساليبها القديمة في تحصيل الاموال عن طريق الضرائب الغير مشروعة وانفاقها على مصالحهم الشخصية [٦٦]. الا ان هذه الاساليب لم تمنع البعض من رجال الدين المخلصين من الوقوف الى جانب عامة الشعب ومعارضة سياسة الدولة في فرض المزيد من الضرائب[٦٢]، ولم تتغير مواقفهم من ناصر الدين شاه حتى عندما حاول التقرب من العلماء والمجتهدين والملالي في المناسبات الرسمية ، وتقديمه الهدايا لهم ، وعلى العكس من ذلك فقد انتقدوا هذا التصرف بوصفه احد مظاهر البذخ والترف والاسراف في الانفاق ، وذلك يتعارض وتوجهات رجال الدين الروحية التي كان هدفها قبل كل شيء خدمة الدين والمجتمع[٦٤].

في هذا المجال لابد من الاشارة الى ان الحياة الاجتماعية في ايران تختلف عن أي مجتمع اخر ، ذلك ان لرجال الدين خصوصية في حياة الناس كونهم يمثلون السلطة الشرعية ، ولهم تأثيرهم في اوساط المجتمع ، لاسيما بين الفلاحين والحرفيين وصغار التجار [٦٩]. ولدورهم المؤثر في المجتمع فقد حرص الملوك القاجار عدم اثارتهم او التعرض لامتيازاتهم ، الامر الذي جعل أي محاولة للاصلاح والتجديد تواجه قدرا من معارضة بعض رجال الدين الذين تضررت مصالحهم .

واذا كانت الحركة البابية قد اتخذت طابع الاباحية والعنف في التعبير عن اهدافها بهدف ادخال بعض المفاهيم الحديثة مثل الحرية والمساواة ، فان الماسونية اعتمدت الاسلوب السري في ايصال افكارها ومفاهيمها للفئات ذات التوجهات الفكرية والدينية الحديثة . وقد انبرى لهذه المهمة ميرزا ملكم

خان (١٨٣٣-١٩٠٥) [٧١]. الذي اسس اول محفل ماسوني في ايران عام ١٨٥٧[٧٢]بعد عودته من باريس ، وقد عرفت باسم (منظمة فراماشخانة) وتعني دار النسيان ، الا ان هذه المنظمة واجهت معارضة قوية من قبل الدولة، لاسيما بعد ان نجحت في استقطاب اعداد من طلبة (دار الفنون) ، والعناصر الشابة من خريجي المدارس الدينية ، فضلا عن عدد من الموظفين والمسؤولين الحكوميين ، وذلك لان طبيعة الموضوعات التي كانت تتم مناقشتها في الاجتماعات تناولت المواضيع الخاصة باصلاح المؤسسات الحكومية ، وتطرقت الى موضوعات اخرى منها اهمية النظام الجمهوري ، وضرورة اشاعة الحريات الفكرية والتنظيمات السياسية ، وتحديد طبيعة الحقوق والواجبات للمواطنين،والاخطر منها تناولت كيف السبيل الى المشاركة في الحكم[٧٢].

ومع تطور نشاط المنظمة بدأت بطرح موضوعات فكرية دعت الى حرية التعبير بعيدا عن قيود الدولة ، فضلا عن انتقادها لبعض ممارسات رجال الدين . ويبدو ان المحافل الماسونية لم تكن ذات توجيهات موحدة ، فقد كان محفل (دار النسيان) ومحفل (يقظة ايران) يتبعان محفل (الشرق الاعظم البريطاني) ، ومحفل (المجتمع الانساني) ومحفل (النور) يتبعان محفل (الشرق الاعظم الفرنسي) . وقد ساهم اعضاء هذه المحافل من المسلمين والمسيحيين في نشر الافكار والمفاهيم الاصلاحية ، ونبهت الناس الى ضرورة المطالبة بحقوقهم . كما ركزت هذه المحافل على استقطاب الشرائح الاجتماعية المؤثرة في الاوساط الايرانية من المثقفين والمسؤولين في الدولة وبعض رجال الدين وزعماء القبائل البختارية لذلك اثارت نشاطاتها قلق المسؤولين في النظام القاجاري[٧٣].

اثار نشاط (الفراماشخانه) الكثير من الشكوك والتساؤلات عن الاهداف الحقيقية لدوافع هذه الجمعية وخشية من انتشار افكارها المتطرفة؛ أمر ناصر الدين شاه باغلاقها في الثامن عشر من تشرين الأول١٨٦١[٧٤].

ساهم دعاة الحركة الماسونية في اشاعة الافكار الاصلاحية الجديدة ، وتعريف الايرانيين بعقائد الاحزاب الاوربية التقدمية وبرامجها الفكرية والاجتماعية ، فكان من بين طروحاتهم المطالبة بتشريع دستور للبلاد ، والحاجة الى اصدار قوانين جديدة . وفي اجتماعاتهم السرية ناقشوا كيفية

التخلص من النفوذ الاجنبي وضرورة احداث نهضة ثقافية عن طريق فتح المدارس ، وكيف السبيل الى انهاء حالة الظلم التي يتعرض لها الشعب على أيدي حاشية البلاط والعائلة القاجارية [٧٤].

ولأهمية دور رجال الدين في المجتمع الايراني وقوة تأثيرهم ، تحرك ميرزا ملكم خان لاستثمار مكانتهم الدينية في خدمة أهداف الحركة الماسونية . وجاء في حديث له مع أحد الكتاب الغربيين (W.I. Plant) : ((كنت أرغب في نشر اصول الحضارة الغربية في ايران ، وقد استفدت في ذلك من رجال الدين))[٧٦].

كان رجال الدين يحرّمون مجالسة الماسونيين ومحاورتهم قبل دخول (السيد محمد الطباطبائي) وولده (سيد صادق الطباطبائي) اثر الحوار الذي جرى بين ميرزا ملكم خان والسيد محمد الطباطبائي وما نتج عنه من قناعة لديه بالافكار التي طرحها ميرزا ملكم خان حتى أنه وضع نفسه وولده صادق الطباطبائي تحت تصرفه لتحقيق غاياته [٧٢].

ومن أهم الموضوعات التي ناقشتها اللجنة السرية للحركة الماسونية كسب المسؤولين النزيهين ، واستغلال الخلافات بين المسؤولين في النظام القاجاري ، وتشجيع العناصر الطموحة ، والاتصال بالحوزة العلمية في النجف الاشرف لشرح فساد الحكم والتأثير على رجال الدين والعناصر المثقفة في طهران والتباحث معهم في الاصلاحات وكيفية تنفيذها ، والعمل على توعية الناس عبر نشر المقالات في الصحف ، وتعرية الحكم وفساد الجهاز الاداري والتحدث عن ايجابيات سيادة القانون. واشاعة حرية الاعتقاد والفكر ومحاربة الظلم ، وخولت اللجنة التي كان عدد اعضائها (٥٦) عضواً من أبرز الشخصيات الدينية والاجتماعية في إيران ، تسعة من اعضائها لمتابعة تنفيذ القرارات [٧٤].

وعلى الرغم من ان نشاط الحركة الماسونية كان سريا ، الا ان تأثيرها كان واضحا بين شرائح المجتمع الايراني فقد اصبحت افكارها محور احاديث المعارف والاصدقاء ، لاسيما تلك التي تناولت حقوق المواطنة ، وحرية الافكار والمعتقدات ، وجاء اندماج ايران بالسوق الرأسمالية العالمية عامل اخر اتاح للايرانيين فرصة الاطلاع على الافكار الحديثة ومعالم الحضارة الغربية[٧٦].

وفي أثناء التنافس البريطاني – الروسي للحصول على الامتيازات في ايران نجح ميرزا ملكم خان ، الذي سبق وان عمل وزيرا مفوضا لبلاده في لندن ، من اقناع ميرزا حسين خان الصدر الاعظم في التأثير على ناصر الدين شاه بالموافقة على منح جوليوس دي رويتر (J.De Reuter) ، رجل الاعمال البريطاني امتياز انشاء خط سكة الحديد من سواحل بحر قزوين الى سواحل الخليج العربي ، والحق في استخراج المعادن واستغلال الغابات واستصلاح الاراضي وحفر القنوات وتأسيس المعامل والمطاحن ومد اسلاك التلفون والتلغراف في كل انحاء ايران ، وقد تم التوقيع على هذا الامتياز في الخامس والعشرين من تموز ١٨٧٢[٨١].

اثار منح الامتياز معارضة واسعة في داخل ايران ، فضلا عن استغراب العالم لمثل هذا الامتياز الذي حصل عليه رويتر الذي وضع كل منابع ثروة ايران تحت تصرفه . وكان رجال الدين في مقدمة المعارضين للامتياز [٨٢]فضلا عن المعارضة الروسية لان الامتياز يهدد مصالحها في شمال ايران [٨٣]. لم تتوقف حركة المعارضة الشعبية التي اتهمت الشاه بانه رهن ثروات البلاد بيد الاجانب ، لذلك اضطر الى الغاء الامتياز في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٨٧٣ [٨٤]. ولم تنفع محاولات ميرزا ملكم خان على ابقاء الامتياز انطلاقا من افكاره الاقتصادية التي ضمنها في كتابه ((أصول التمدن)) والذي جاء فيه ضرورة فتح ابواب ايران امام المؤسسات التجارية والمالية الاجنبية لمعالجة مشكلات البلاد الاقتصادية[٨٥].

ومن بين المصلحين المستنيرين الذين تولوا منصب الصدارة في ايران ميرزا حسين خان ، مشير الدولة (١٨٨١-١٨٢٦) ، الذي كان على قدر كبير من الثقافة والمعرفة ومطلعا على التطور الذي وصلت اليه البلدان الاوربية ، لاسيما وانه قد اكمل دراسته في فرنسا ، وعمل في السلك الدبلوماسي ممثلا لبلاده في بومباي واستانبول ، وللخبرة التي كان يمتلكها في الانظمة السياسية والقانونية الاوربية الحديثة ، فقد عينه ناصر الدين شاه صدرا اعظم بين عامي (١٨٧١-١٨٧٣) [٨٦].

تطلع ميرزا حسين خان وبحكم منصبه الى وضع اسس جديدة للانظمة الادارية والقضائية في مؤسسات الدولة ، ويبدو انه كان متأثرا باراء ميرزا ملكوم خان الاصلاحية [٨٧]، ولذلك اتخذه مستشارا له في عام

١٨٧٢ . غير ان سياسة ميرزا حسين خان واجهت معارضة من قبل رجال الدين والامراء المتنفذين لانها أضرت بمصالحهم ، لذلك لم تمض سوى مدة قصيرة حتى تم اقالته من منصبه ، لان اقطاب المعارضة الذين تزعمتهم أنيس الدولة زوجة الشاه ، اثاروا مخاوف ناصر الدين شاه عندما حاول اقامة حكومة دستورية، وتأسيس برلمان، وان القوانين لا تصبح نافذة الا بعد المصادقة عليها في البرلمان المنتخب من قبل الشعب، لذلك عجل في اصدار امر عزله من الصدارة في الثالث عشر من ايلول ١٨٧٣[٧].

ومع تصاعد حدة المعارضة الشعبية لسياسة ناصر الدين شاه وتردي الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تظاهر بانه مع تطلعات الشعب في الدعوة للاصلاح والتحديث لمؤسسات الدولة ، فجمع في مجلسه عددا من الامراء والمسؤولين الايرانيين وتحدث لهم عن مشاهداته في البلدان الاوربية في اثناء زيارته في الاعوام ١٨٧٣ ، ١٨٧٨ ، ١٨٨٩ ، وما لاحظه من احترام الناس للنظام وحرصهم على تطبيق القانون ، وطلب منهم العمل على اعادة تنظيم مؤسسات الدولة ، وشدد على اهمية تشريع دستور للبلاد [٨].

وبعد الانتهاء من حديثه لم يتجرأ احد من الحاضرين ان يقول له ان المادة الأولى من الدستور تقضي بالغاء النزعة الفردية والدكتاتورية من الشاه نفسه [٩].

وعلى الرغم من تظاهر ناصر الدين شاه برغبته في اجراء الاصلاحات الا ان مقولته التالية تعكس حقيقة نياته : ((اني ارغب ان يكون رجالي اغبياء بلا ثقافة الى الحد الذي لا يعرفون فيه ان بروكسل ، اسم لمدينة ام لنوع من انواع الخضر)) [١٠].

وتأكيدا لهذه المقولة التي تحدث بها ناصر الدين شاه ، وتظاهره في العمل من اجل الارتقاء بمستوى الشعب الثقافي ، قام الشاه بزيارة الى (دار الفنون) بالحاح من صدره الاعظم ميرزا اغا نوري فسأل الشاه احد الطلبة عن بلجيا اين تقع ؟ وكيف هي ؟ فتحدث الطالب ولمدة نصف ساعة وبشكل مفصل عن تاريخ بلجيكا وجغرافيتها واحوالها الاجتماعية ، وكان الشاه في حينها مطرق السمع بحنق . وبعد ان انهى الطالب حديثه غادر الشاه (دار الفنون) غاضبا ، فأثار استغراب رئيس وزرائه ومرافقيه، لانهم كانوا

يتوقعون اعجاب الشاه وتقديره ، وبعد اسابيع استفسر رئيس الوزراء عن اسباب استيائه عند زيارة (دار الفنون) ، فأجاب الشاه : ((اذا استطاع الناس ان يعرفوا أي مكان هي بلجيكا ، اذن من الذي سيجعلني ملكا ويجعلك رئيسا للوزراء)) [٩٢].

توضح هذه الافكار التي كان يؤمن بها ناصر الدين شاه عن عدم قناعته باجراء الاصلاح والتجديد لمؤسسات الدولة ، لان تطور المستوى الثقافي معناه تطور الوعي الفكري وانفتاحه على معالم الحضارة الحديثة من شأنها اشاعة مبادئ الحرية والديمقراطية ، عندها ستتوجه انظار الشعب الى تشخيص مساوئ النظام القاجاري، لذلك لم تلق هذه المحاولات التشجيع من حاشية البلاط لانها تتعارض ومصالحهم الشخصية.

ومن العوامل الاخرى التي ساهمت في ادخال الافكار الحديثة بين اوساط المجتمع الايراني ، نشاط البعثات الارسالية التبشيرية التي كان لها دورها في نشر التعليم والثقافة بين الايرانيين . ومن اكبر البعثات التي وصلت ايران ، البعثة التبشيرية البريطانية التي انتشر نشاطها في عدد من المدن الايرانية في مقدمتها العاصمة طهران واصفهان وبوشهر ، فقد اسست مدارس للاطفال وفتحت المستوصفات لمعالجة المرضى وتعد اصفهان احدى اهم مراكز نشاطها حيث تم افتتاح مدرستان في عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ ، التحق فيها (٣٤٠) طفلا ، كما تم افتتاح مستشفى مجاني في المدينة ذاتها . وفي مقاطعة كرمان أسست البعثة التبشيرية البريطانية مركزا طبيا للعلاج المجاني بطاقة (٢٥) سريرا ، واستقطبت البعثة عددا من الشبان الايرانيين واخذت بتعليمهم اللغة الانكليزية والعلوم الطبيعية [٩٢].

لم يقتصر نشاط البعثات التبشيرية على المسلمين فقط ، وانما على ابناء الطوائف الاخرى مثل اليهودية والزرادشتية ، ولاهمية نشاط هذه البعثات في تهيئة الاجواء لتقبل وجود الاجانب في ايران ، تلقت البعثة البريطانية دعما كبيرا من الحكومة البريطانية فخصصت لها المبالغ المالية اللازمة لفتح المراكز الطبية في كل قنصلياتها ، حتى إن بعض الاطباء كانوا يعملون مساعدين للقناصل البريطانيين ، وكان لهم دورا في نشر الافكار الحديثة والمفاهيم السياسية التي انعكس تأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الايراني [٩٢].

وعلى الرغم من أن الظروف الاجتماعية كانت سيئة ، الا إن انفتاح إيران على الغرب ، ودخولهم مدارس البعثات التبشيرية التي لم تقتصر على البعثات البريطانية ، فقد قامت البعثات الارسالية التبشيرية الامريكية التي يرجع بداية نشاطها الى عام ١٨٢٩ ، بتأسيس المدارس وانشاء المستشفيات في المدن المهمة من بينها العاصمة طهران وتبريز . وفي عام ١٨٤٠ أسس الامريكيون مطبعة خاصة بهم[٩٤]، ومن الجدير بالذكر أن أول مطبعة دخلت إيران كان في عام ١٨١٦ في مدينة تبريز ، وفي مدينة طهران عام ١٨٢٤ ، وادخلت المطابع الحديثة التي كانت اكثر تطورا من سابقاتها في تبريز عام ١٨٣٥ ، وفي طهران عام ١٨٤٤[٩٥]. واذا عرفنا ان عدد البعثات الارسالية الامريكية فقط ، قد وصل في عام ١٨٨٤ الى ٢٣ ارسالية وبلغ عدد طلبتها (٢٥٠٠) طالبا [٩٦]، ادركنا مدى تأثير هذه البعثات في اشاعة الوعي الفكري لدى شرائح المجتمع الايراني. وتشير المعلومات الى ان عدد المدارس الابتدائية الرسمية للبنين والبنات قد وصل في عام ١٩٠١ الى (١٧) مدرسة، ومدرسة ثانوية واحدة ، وجامعة واحدة[٩٧].

وعبر هذه المؤسسات الثقافية التي انتشرت في معظم انحاء ايران ، اتسعت قاعدة الفئة المثقفة بين اواسط المجتمع ، وأخذت تطالب بتحسين اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وضرورة مشاركتهم في الحياة السياسية ووضع مؤسسات الدولة تحت رقابة المجتمع .

ومع احتدام التنافس بين بريطانيا وروسيا للحصول على المزيد من الامتيازات [٩٨]، في عهد ناصر الدين شاه ، فاتخذ النفوذ الروسي والبريطاني اسلوب السباق في الحصول على الامتيازات الاقتصادية[٩٩] فقد انحصر النفوذ الروسي في مناطق ايران الشمالية ، وان كان ذلك النفوذ تجاريا اكثر منه سياسيا ، في حين حرص البريطانيون على ابعاد روسيا عن مناطق نفوذهم في وسط وجنوب ايران [١٠٠].

وعلى الرغم من التطور الذي شهده المجتمع في اواخر القرن التاسع عشر اثر انفتاح ايران على الغرب ، وارتباطها بالاسواق العالمية ، الا انه ترك آثارا سيئة على شرائح المجتمع ، لان التطور الاقتصادي والاجتماعي لم يكن طبيعيا وانما جاء بفعل تأثير القوى الاستعمارية التي افقدت ايران استقلالها السياسي والاقتصادي . ومن الطبيعي ان تشهد ايران في هذه

الحقبة من تاريخها الحديث العديد من الازمات الاقتصادية والاجتماعية . وقد حمّل الشعب الايراني ، لاسيما الفئة المثقفة اللوم على النظام السياسي القاجاري ، لانه كان السبب في الخضوع للنفوذ الاجنبي وهيمنة الاحتكارات الاجنبية على ثروات البلاد[١٠٢].

وبسبب تلك الاوضاع وما رافقها من انتشار البطالة، اضطر الكثير من الايرانيين الى البحث عن سبل اخرى توفر لهم متطلبات المعيشة[١٠٢]؛ وقد قام قسم من العمال الماهرين بين مدة وأخرى بالتظاهر مطالبين بتحسين اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية [١٠٢]؛ وقسم آخر هاجر الى اذربيجان الروسية حيث حقول نفط باكو ، والى تفليس واستراخان وطاشقند والمدن الروسية الاخرى [١٠٤]. وتشير المعلومات الى ان عدد العمال الايرانيين الذين هاجروا الى داخل الاراضي الروسية ممن تم احصاؤهم بشكل رسمي قد تجاوز مائتي الف في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [١٠٤]. وفي اثناء وجودهم في روسيا، ساهم الكثير منهم في اضرابات العمال الروس ضد النظام القيصري وعند عودتهم الى ايران كان لهم دورا واضحا في نقل الافكار الثورية وطالبوا بتغيير النظام السياسي ووضع حد لمنح الامتيازات للدول الاجنبية[١٠٦].

أثارت هذه الطروحات الفكرية حماسة الفئة المثقفة وتعاطفها مع المصالح الوطنية ، لان تلك الامتيازات لم تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الايرانيين بقدر خدمة النفوذ الاجنبي وتوجهاته الاقتصادية [١٠٢]؛ وقد تضامن مع هذه الطروحات شريحة التجار والبعض من رجال الدين فتبلورت تلك المواقف الوطنية في رفض نشاط القوى الاجنبية لاسيما البريطانيين في الوسط والجنوب والروس في الشمال [١٠٤]؛ ومما زاد من حدة المعارضة لسياسة الشاه طلبه من المسؤولين الروس في اثناء زيارته للعاصمة الروسية بطرسبورغ في عام ١٨٧٨ بتأسيس الفرقة القوزاقية للحد من نشاط المعارضة الوطنية ولحماية النظام القاجاري ، وجاءت موافقة روسيا سريعة فتم تشكيل الفرقة في عام ١٨٧٩ ، بدأت بكتيبة خيالة تعدادها ٤٠٠ مقاتل [١٠٤]؛ وتصاعد دورها في خدمة النفوذ الروسي في المرحلة اللاحقة ، لاسيما في مقاطعات ايران الشمالية الخمسة (خراسان ، استراباد ، مازندران ، كيلان ، اذربيجان) التي شهدت نشاطا تجاريا واسعا بعد تأسيس مصرف

القرض الروسي عام ١٨٨٩ ، ومد سكة حديد من جلفا الى تبريز وسواحل بحيرة اورمية [١١].

أدى وقوع ايران تحت هيمنة النفوذ الاجنبي الى ظهور التناقضات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع الايراني ، ولان الشاه وباقي المسؤولين الايرانيين كرسوا جل اهتمامهم لمصالحهم الخاصة ، جعل شرائح المجتمع الايراني الواعية ، لاسيما البرجوازية الوطنية والفئة المثقفة وصغار التجار الذين تضررت مصالحهم ، يعلنون احتجاجهم وانتقادهم للنظام القاجاري [١٢].

انبرى لاوضاع ايران الاجتماعية والاقتصادية المتردية عدد من المفكرين والمصلحين بعد ميرزا ملكم خان وميرزا حسين خان فقد تناول ميرزا فتح علي اخنزاده (١٨٧٨-١٨١٢) وأشر ان احد اسباب تخلف ايران هو عدم اخذها باساليب النهضة الحديثة ودعا الى استبدال الابجدية الفارسية بالحروف الرومانية وعدّ هذه الخطوة اساسية لكي تلحق ايران بركب الحضارة الحديثة [١٣].وقد وجدت تلك الاراء صداها بين اوساط المجتمع الايراني الذي استفاق من غفلته وبدأ بالانفتاح على الافكار الحديثة عن طريق قراءة الصحف والكتب الاجنبية التي ترجمت الى اللغة الفارسية[١٤].

وجاءت طروحات زين العابدين المراغي وعبد الرحيم طاليوف عبر مؤلفاتهما (سياحة نامه ابراهيم بك) و (مسائل للحياة) لتؤشر حالة الفساد الاداري ؛ بسبب تسلط امراء البيت القاجاري ودكتاتورية ناصر الدين شاه وما نتج عنها من تفاقم الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية كانت عاملا مهما في دفع الفئة المثقفة الى قراءة الموضوعات التي تناولها كتاب (مسائل للحياة) مثل الحرية والديمقراطية والمساواة والقانون والدستور وتوضيحها لشرائح المجتمع الاخرى لكي يتعرفوا على حقوقهم ودورهم في عملة التغيير التي اصبحت ايران بامس الحاجة اليها لحالة التخلف التي كان عليها النظام القاجاري [١٥].

ومن الشخصيات التي ساهمت في احداث النهضة الفكرية واليقظة الوطنية في ايران ، جمال الدين الافغاني (١٨٩٧-١٨٣٨) ، الذي عرف بدعواته الاصلاحية ونشاطه الفكري ، وقد اعجب الشاه بارائه عندما قام احد وزرائه بترجمة (العروة الوثقى) ، احدى مؤلفات الافغاني ، وقد وجهت اليه

الدعوة لزيارة العاصمة طهران عام ١٨٨٧ ، وحال وصوله التف حوله رجال الدين وطلبة العلم والقى سلسلة من المحاضرات تناول فيها اهمية مشاركة الشعب في شؤون الحكم ، وانتقد بشدة تزايد النفوذ البريطاني في ايران . وعندما التقى بالشاه جرى بينهما حواراً تناول فيه مختلف الموضوعات ، لاسيما السياسية منها ،وقال للشاه بانه سيكون السيف الذي يستخدمه في مواجهة اعدائه فيما اذا عينه مستشارا له . فاثارت اراءه وطروحاته السياسية الخشية والوجل لدى الشاه ، فاقترح عليه مغادرة طهران [١١٤].

توجه الافغاني الى روسيا ومكث فيها عامين (١٨٨٩-١٨٨٧) حاول في اثنائها اثارة الروس ضد البريطانيين مستغلا في ذلك تصاعد نشاط هنري درموند H.Drmonad ، القائم بالاعمال البريطاني في طهران ، وكيف استطاع اقناع الشاه في الحصول على عدة امتيازات منها : امتياز فتح نهر الكارون للملاحة ، وتأسيس البنك الوطني ، وامتياز التعدين[١١٦].

وفي اثناء تواجده في العاصمة الروسية بطرسبورغ ، استقبله الاسكندر الثالث قيصر روسيا (١٨٩٤-١٨٨١) ، وطرح عليه وجهة نظرة في ضرورة الحد من النشاط البريطاني في ايران . وقد ضمن افكاره تلك في بعض المقالات السياسية التي نشرتها صحيفتي (موسكو) و (نوفي فرسيا) [١١٢]، كما فضح سياسية بريطانيا الاستعمارية في الدولة العثمانية وبلاد فارس وافغانستان[١١٤].

عاد الافغاني ثانية الى ايران بدعوة من ناصر الدين شاه عندما التقى به في العاصمة الروسية بطرسبورغ في اثناء رحلته الثالثة الى اوربا عام ١٨٨٩ واصطحبه معه الى ميونيخ وخشية من اثارة غضب روسيا طلب منه التوجه الى ايران فوصلها في نهاية عام ١٨٨٩ . وكانت الظروف مؤاتية للافغاني في توجيه انظار الايرانيين الى مخاطر هيمنة الاحتكارات الاجنبية على مقدرات الشعب ، فأحدث نشاطه فعله المؤثر ليس فقط بين رجال الدين وطلبة العلم ، بل وفئة التجار والمثقفين ، وعند عودة الشاه الى ايران جاءته اخبار جمال الدين الافغاني عندما دعا الشعب الى الخروج على سلطة الشاه ومقاومة النفوذ الاجنبي[١١٩]. وبهذه الاراء يكون الافغاني قد خرج من كونه مصلحا الى فيلسوف سياسي[١٢٠]، فقد عرف ببصيرته كيفية

توجيه انظار الايرانيين الى مساوئ النظام القاجاري وسياسة الشاه الاستبدادية ، فاصبح بقاؤه في ايران يشكل مصدر خطر على النظام فأمر بنفيه من البلاد حسب توجيه البريطانيين[١٢٢].

لم يمتثل جمال الدين الافغاني لاوامر الشاه بالخروج من ايران فقد التجأ الى مسجد الشاه عبد العظيم الذي يبعد ٢٠ كم جنوب العاصمة طهران ، وهذا تقليد متعارف عليه عند الايرانيين يعرف ((البست)) ومكث هناك ما يقرب من ستة اشهر كتب في اثناءها عدة مقالات انتقد فيها باسهاب مساوئ النظام القاجاري وألب الايرانيين بالعمل ، وعلى كل المستويات ، لخلع الشاه [١٢٣].

أصيب ناصر الدين شاه بالذهول عندما قرأ مقالة لجمال الدين الافغاني في كانون الثاني ١٨٩١ ، منتقدا فيها سياسة الحكومة الايرانية برهن ثروات البلاد للاحتكارات الاجنبية ، وتطاوله على شخص الشاه ، ولذلك قرر اخراج الافغاني بالقوة اذا تطلب الامر ذلك ، وفعلا ارسل له كتيبة من الجند وتم اخراجه من المسجد على الرغم من ظروفه الصحية السيئة ، وطرد من ايران بطريقة مشينة ، الأمر الذي ولد لديه الرغبة الجامحة للانتقام من الشاه [١٢٣]، فكتب الرسائل الى علماء الدين في سامراء والنجف دعاهم فيها الى معارضة سياسة الشاه (الذي باع ايران الى الكفرة) وحثهم فيها العمل وبمختلف الوسائل لالغاء امتياز التبغ، الذي حصل عليه المستثمر البريطاني G.F. Talbot في الثامن من اذار ١٨٩٠، وبموجبه اصبح من حق الشركة احتكار شراء وبيع وتصدير التبغ للايرانيين لمدة خمسين عاما [١٢٤].

أحدثت رسائل الافغاني فعلها الايجابي لدى علماء الدين ، وفي مقدمتهم المجتهد ميرزا حسين الشيرازي ، فقد أصدر فتوى تحريم التبغ في اوائل كانون الأول ١٨٩١ ، فاتسعت قاعدة المعارضة الشعبية للنفوذ البريطاني في معظم انحاء ايران ، ولم يكن امام الشاه من خيار في نهاية المطاف ، الا اصدار امر الغاء الامتياز في السابع من كانون الثاني ١٨٩٢[١٢٤].

لم تنته جهود جمال الدين الافغاني في مخاطبة الشعب الايراني بعد طرده ، فقد اتخذ مجالا اخر لاستمرار نشاطه عندما التقى بميرزا ملكم خان المصلح الايراني المعروف في لندن ، فتعاون معه في اغناء جريدته

(القانون)، بالمقالات التي فضحت خفايا النظام القاجاري وسياسة ناصر الدين شاه التعسفية، فأحدثت هذه الجريدة وغيرها من الصحف الايرانية المعارضة التي كانت تصدر في الخارج مثل (اختر) التي كانت تصدر في استانبول ، و (الحبل المتين) التي كانت تصدر في كلكتا ، تحولا مهما في التوجهات الفكرية والسياسية المعارضة لسياسة الشاه والنفوذ الاجنبي[١٢٦].

ولم تكن مساهمات المفكر ميرزا رضا الكرماني بأقل أهمية في اذكاء المشاعر الوطنية لدى الايرانيين ، لما عرف عنه من المزج بين الفكر الديني والفكر السياسي انطلاقا من ثقافته الواسعة واطلاعه على الافكار الفلسفية المعاصرة من خلال اتقانه اللغتين الانكليزية والفرنسية . وقد أغنى صحيفة (اختر) بالكثير من الافكار الثورية والتقدمية حتى أن السلطات العثمانية اضطرت الى اغلاقها في عام ١٨٩٥ [١٢٧].

ولخطورة افكاره وقوة تأثيرها بين اوساط شرائح المجتمع الايراني اصبح بحق روسو وفولتير الثورة الدستورية فيما بعد [١٢٨].

ومن الجدير بالذكر ان ميرزا رضا الكرماني كان معجبا بافكار الافغاني ، لذلك ليس غريبا ان يكون مقتل ناصر الدين شاه في الأول من ايار ١٨٩٦ على يد ميرزا رضا الكرماني بوصفه احد تلاميذ الافغاني وللعلاقة الحميمة التي كانت بينهما ، ولمواقفهما المشتركة في انتقاد سياسة الشاه ، فضلا عن ان الكرماني سبق وان سجن في قزوين لمشاركته في التظاهرات المعادية لنظام الشاه ، وكان لمقتل ابنه امام عينيه عامل آخر وراء اقدامه على هذا العمل وفاءاً لتوجيهات الافغاني [١٢٩].

استمرت اوضاع ايران الاجتماعية والاقتصادية في التدهور بعد وصول مظفر الدين شاه (١٩٠٧-١٨٩٦) الى السلطة ، فقد انغمس هو الاخر بحياة اللهو والترف ، واغرق البلاد بالديون البريطانية والروسية مقابل رهنه ايرادات الكمارك لتسديد تلك الديون [١٣٠]. واستمر على سياسة ابيه في منح الامتيازات للشركات البريطانية والروسية ، وفي مقدمتها امتياز التنقيب عن النفط واستخراجه الذي حصل عليه البريطاني الجنسية وليم

نوكس دارسي W. Kn. D'Arcy في التاسع والعشرين من ايار ١٩٠١ [١٣٢].

ادت هذه التطورات الى تحرك القوى الوطنية ومطالبتها في الحد من هيمنة النفوذ الاجنبي على مقدرات البلاد الاقتصادية ، وقد تزامن ذلك مع متغيرات اقليمية اخرى كان لها تأثيرها في التعجيل بقيام الثورة الدستورية، في مقدمتها الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٥-١٩٠٤) وما آلت اليه من هزيمة ساحقة لنظام روسيا القيصرية على يد دولة فتية بامكاناتها العسكرية مثل اليابان ، وقد كان لهذا الحدث صداه لدى الحركة الوطنية الايرانية فوجدت في الانظمة الدستورية مصدر قوة لشعوبها في تحقيق اهدافها الوطنية [١٣٣].

وفي اعقاب الهزيمة التي تعرضت لها روسيا امام اليابان ، واجه القيصر نيقولا الثاني Nicholas II (١٩١٧-١٨٩٤) حركة معارضة واسعة ادت الى قيام ثورة شعبية أجبرت القيصر على الموافقة لمطالب الحركة الوطنية في تأسيس البرلمان Duma ، وأصدار دستور يحد من صلاحيات القيصر وينظم العلاقة بين البرلمان والسلطة التنفيذية [١٣٣].

وجدت هذه الاحداث صداها في ايران اكثر من أي دولة اخرى ، ذلك لان الايرانيين عانوا كثيرا من تغلغل النفوذ الروسي ، فوجدوا في ذلك فرصة لاخضاع الشاه لمحاسبة الشعب عن طريق برلمان ينتخبه الشعب [١٣٤]. وكان للحركة الاصلاحية التي شهدتها الدولة العثمانية وما رافقتها من شيوع المفاهيم الحديثة مثل الحرية والمساواة وتفعيل دور الدستور ، عامل اخر شجع الايرانيين على المطالبة بتحجيم صلاحيات الشاه اسوة بالشعوب الاخرى[١٣٤].

ومهما قيل عن تفاعل التطورات الداخلية مع الاحداث الخارجية يبقى للمؤسسة الدينية القدح المعلى في تأجيج مشاعر الايرانيين وقيادتهم لما لهم من تاثير بين اوساط المجتمع الايراني . ولذلك تنبه قادة الحركة الوطنية من البرجوازيين والمثقفين الى أهمية دور رجال الدين في احداث التغيير المنشود في مؤسسات النظام القاجاري [١٣٦] بعد ان وصلت الاوضاع الى

مرحلة من التدهور لا يمكن السكوت عليها ، لاسيما وان الشاه وحاشيته كان همهم الوحيد البقاء على دست الحكم ، والتمتع بثروات البلاد وانفاقها على سفراتهم ومصالحهم الشخصية بعيدا عن مصالح الشعب وحقوقه الوطنية [١٣٢].

جاءت الاحداث متسارعة على الساحة الايرانية ، فوُضعت الحركة الوطنية امام مسؤولياتها ، فقد ارتفعت اسعار المواد الغذائية في الاسواق الايرانية ، واشتدت حدة الازمة الاقتصادية وما رافقها من اجراءات قسرية اقدمت عليها الحكومة في مضاعفة الضرائب الكمركية على التجار الوطنيين [١٣٣]، الامر الذي دعا البازار الى اغلاق المحلات التجارية احتجاجا على التدابير التي اتخذتها الدولة ، والقيام بمسيرة احتجاج شارك فيها التجار وبعض رجال الدين احتجاجا على سياسة الدولة الاقتصادية ، وسرعان ما عم الهياج العديد من المدن الايرانية بما فيها العاصمة طهران لتكون البداية التي ادت الى قيام الثورة الدستورية [١٣٤]بوصفها ثمرة للتحولات الاجتماعية التي مرت بها ايران طيلة القرن التاسع عشر ، لتضع ايران على اعتاب مرحلة جديدة ، اخذ فيها الشعب دوره الحقيقي في رسم سياسته الداخلية والخارجية .

الخاتمة

اتسم نظام الحكم القاجاري في ايران ، بسمة العلاقات الاقطاعية والحكم الملكي الاستبدادي ، لذلك أدت سياسات الملوك القاجار الى تردي اوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية ، فدخلت ايران في حروب مدمرة وخاسرة ، لاسيما مع كل من روسيا وبريطانيا .

وفي الوقت الذي كان فيه المجتمع الايراني بأمس الحاجة الى تحسين اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ، انصرف الملوك الى اشباع رغباتهم الخاصة والقيام بالسفرات الى اوربا . وبسبب ضعف النظام القاجاري ، تحولت ايران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الى ميدان للتنافس البريطاني – الروسي للحصول على الامتيازات التي شملت معظم مناطق ايران .

وقع عبئ سياسة الملوك القاجار على معظم شرائح المجتمع الايراني من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار ، وعلى الرغم من اندماج ايران بالسوق الرأسمالية العالمية ، الا ان اوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية لم تتحسن ، بسبب استئثار المتنفذين وامراء البيت القاجاري على موارد البلاد ، وتفشي ظاهرة الرشوة والفساد الاداري في معظم مؤسسات الدولة.

حاول العديد من المفكرين والمصلحين اصلاح مؤسسات الدولة وادخال النظم الحديثة ، الا انها اصطدمت بالمتضررين بهذه الاصلاحات. وعندما تهيئت الظروف المناسبة للتغيير ، تحركت القوى الوطنية بالتعاون والتنسيق مع المؤسسة الدينية في قيادة حركة المعارضة مستغلين في ذلك مساوئ النظام القاجاري، وهيمنة الاحتكارات الاجنبية على ثروات البلاد.

وكان للعوامل الخارجية دورها في التعجيل بالخروج على مظفر الدين شاه ، منها خسارة روسيا القيصرية في حربها مع اليابان ، واندلاع الثورة الشعبية في روسيا عام ١٩٠٥ ، وحركة الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية ، كل ذلك مهد للقيام بالثورة الدستورية (١٩١١-١٩٠٥) ، التي كانت حدثا مهما وضعت ايران على اعتاب مرحلة تاريخية جديدة.

الهوامش

(١) القاجار : هم احدى القبائل التركية الاصل ، دخلت ايران ضمن الحملة المغولية واستقرت في شمال اذربيجان ومازندران ايدت هذه القبيلة الصفويين وساعدتهم في السيطرة على ايران في القرنين السادس عشر والسابع عشر .
سعيد نفيسي ، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دورة معاصر ، مجلد اول ، تهران ١٣٣٥ ، ص٥-١٩ ؛ علي اصغر شميم ، ايران در دورة سلطنت قاجار، تهران ١٣٨٣، ص١٨-٢١ .

(2) F . Kazem Zadeh , Russid and Britain in Persia 1864-1914 , A Study in Imperialism , New Haven , 1968 , p . 148 .

(٣) الملوك الذين تعاقبوا على حكم الدولة القاجارية هم :
١. أغا محمد شاه (١٧٩٧-١٧٩٦) .
٢. فتح علي شاه (١٨٣٤-١٧٩٧) .
٣. محمد شاه (١٨٤٨-١٨٣٤) .
٤. ناصر الدين شاه (١٨٩٦-١٨٤٨) .
٥. مظفر الدين شاه (١٩٠٧-١٨٩٦) .
٦. محمد علي شاه (١٩٠٩-١٩٠٧) .
٧. احمد شاه (١٩٢٥-١٩٠٩) .

(4) Homa Katouzian , The Politoical Economy of Modern Iran , Despotism and Pseudo – Modernism , 1926-1971 , Hongkong , 1981 , p. 56 .

(٥) للمزيد من التفاصيل عن الحروب الروسية – الايرانية (١٨٠٤-١٨١٣) وحرب (١٨٢٦-١٨٢٨) يراجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد ١٩٨٥، ص٣٢-٧٢ ؛ خليل ابراهيم صالح المشهداني ، العلاقات البريطانية – الايرانية ١٨٥٧-١٩٠٧ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص٢٣-٣٤ و ٣٨-٤٤ .

(٦) وعن الحروب البريطانية – الايرانية يراجع خليل المشهداني ، المصدر السابق ص٤٦-٤٧ و ص٧٧-٨٧.

(7) Alessandre Bausani , The Persians From the earliest days To the Twentieth Century Translated From the Italian by J.B. Bonne , London , 1921, p . 164 .

(8) Nikki R. Keddie , Religion and Rebellion in Iran , The Tobecco Protest of 1891-1892 , London , 1966 . pp. 2-3 .
(9) F.Kazem Zadeh , Op . Cit . , pp. 21-22 .
(١) لجورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط ، ج١ ، بغداد ١٩٦٤ ، ص٥٨ .
(٢) لعبد الله رازي ، تاريخ مفصل ايران (از تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر) جاب دوم ، تهران ١٣٣٥ ، ص٤٥٢-٤٥٣ .
(٣) للمزيد من المعلومات عن دور عباس ميرزا يراجع :
H. Pakdaman and W. Royce , "Abbas Mirza will" Iranian Studies , Journal of the Society For Iranian Studies , Vol . VI , U.S.A. , 1973 , pp. 136-151 .
(13) Amin Banani, The Moderniztion of Iran, California, 1961. p.8 .
(14) Shaul Bakhash, Iran : Monarchy , Bureaucracy and Reform Under the Qajars : 1858-1896 , London , 1978 , p. 2 .
(٥) لعبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ط٣ ، بغداد ٢٠٠٤ ، ص٢٣٨ ;
Richard N.Frye , Persia , London , 1968 , p. 79 .
(16) Amin Banani , Op . Cit . , p . 8 .
(٦) للمزيد من المعلومات عن ميرزا برزك يراجع : على اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٢٧-١٢٩ .
(٧) لعبد الله رازي ، المصدر السابق ، ص٤٥٣ .
(19) Quoted in : M. Volodaraky "Persia and Great Powers , 1856-1869" , Middle East Studies , Vol . 19 , No . I , 1983 , p. 115 .
(٨) لخان ملك ساساني ، دست نبهان سياست انكليس در ايران ، طهران ، بلا ، ص٢٢ ؛ عبد الله رازي ، المصدر السابق ، ص٤٥٣ ;
Y. Armajani , The Middle East Past and Present , New Jarcey , 1970 , p.108 , 224 .
(٩) لـ كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص٧٣ .
(22) E.G. Browne , The Persion Revolution of 1905-1959 , London 1966 , p. 239 .
(23) Ochirk Novoi Istoril Iran , XIX , nachale XX V. , Akedemiya Nauk SSSR , Moscow , 1978 , p . 145 .

موجز تاريخ إيران الحديث من القرن التاسع عشر – بداية القرن العشرين ، مجموعة مؤلفين ، موسكو ١٩٧٨ .
(24) E. Abrahemian , Iran between Tow Revolution , New Jersey , 1982 , P. 43 ; G. Curzon , Persia and the Persian Question , Vol . I , 2nd , ed London 1966 , p. 467 .
(25) Nikki R. Keddie , Iran : Religon , Politics and Sociedy , London , 1980 , p.119 .
(26) Julian Bharier , Economic Development in Iran 1900-1920 , London , 1971 , pp. 19-20 .
(27) A. Lambton , Landlord and Easternin in Persia , London,1953 , p.149.
(٢٨) ميرزا فضل الله الايراني ، الباب والبابية ، ((المقتطف)) (مجلة) ، القاهرة المجلد ٨٨ ، جزء ٦ ، حزيران ١٨٩٦ ، ص٦٣٣-٦٣٨ .
(٢٩) جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٤٠ .
(30) A. Bausani , Op . Cit . , p . 166 .
(31) H.Algar Religion and State in Iran 1785-1906 , Los Angles , 1969 , pp. 122-128 .
(٣٢) ج.ي . هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٢٠٠ .
(٣٣) المصدر نفسه .
(34) A. Bausani , Op . Cit . , p. 166 .
(٣٥) للمزيد من التفاصيل عن الحركة البابية يراجع :
عبد الرزاق الحسني ، البابيون والبهائيون في حاضرها وماضيهم ، ط٣ ، صور ١٩٦٩؛ عباس كاظم مراد، البابية والبهائية، ومصادر دراستهما، بغداد ١٩٨٢.
(٣٦) جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٤١ .
(37) Bahman Nirumand , Iran The New Imperialism in Action , London , 1961 , p. 23 .
(38) P. Avery , Modern Iran , London , 1965 , pp. 66-67 .
(39) Ibid .
(٤٠) ج.ي. هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص٢٠٢ .
(41) A. Bausani , Op . Cit . , pp . 166-167 .

(٤٢) علي أصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٥٥-١٥٧ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ص١٦١-١٦٢ .
(44) Novae istorie Stran Zargbegnoi Asii I Afriki Redektor D,A, Cotolptcova , Leningrad , 1971 , p. 14 ,
التاريخ الحديث لاقطار اسيا وافريقيا الاجنبية ، مجموعة مؤلفين ، ليتينغراد ، ١٩٧١ ، ص١٤٩ .
(٤٥) د. كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص٧٧-٨٣ ;
H.Algar , Op . Cit . , pp. 94-98 .
(46) Novae istorie Stran , p. 149 .
(٤٧) فريدون آدميت ، امير كبير وايران ، باوز از تاريخ سياسي وايران ، قسمين ، طهران ١٣٢٣ ، ص١١٢-١٤٥ ;
H.Algar , Op . Cit . , pp. 122-136 .
(٤٨) دكتر ابو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس ، جلد دوم ، بلا ١٣٥٤ ، ص٣٠٤ ؛ ارنولد ويلسون ، تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، مسقط ١٩٨٥ ، ص١٨٣ .
(٤٩) جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٤٥-٢٤٧ ؛ علي أصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٦٣-١٦٨ .
(50) Novae istorie Stran , p. 149 .
(51) William R. Polk and Richard L. Chambers , Beginning of Modernization in the Middle East , The Nineteeth Century , London , 1968 , p. 127 .
(٥٢) فريدون آدميت ، المصدر السابق ، ص١٥٤-١٧٠ ؛ علي أصغر شميم ، المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٧ .
(٥٣) جهانكيز قائم مقامي ، تاريخ تحولات سياسي نظام ايران (از اغاز قرن يازدهم ، هجري ناسال ١٣١٠) ، تهران ١٣٢٦ ، ص٧٤ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ص٧١ ؛ علي أصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٦٤ .
(55) A. Bausani , Op . Cit . , p. 167 .
(٥٦) البست ، ظاهرة شائعة في المجتمع الايراني تمنح حق الحماية لكل خارج عن القانون او معارض للسلطة اذا التجأ الى بعض المساجد المعروفة او الى دور كبار رجال الدين او الى احدى السفارات الاجنبية .

د. كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص١٨٥ ؛ فريدون آدميت ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(٥٢) P. Avery , Op . Cit . , p. 51 .

(٥٣) علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .

(٥٤) فريدون آدميت ، المصدر السابق ، ص١٧١-١٧٨ .

(٥٥) الدكتر ابو القاسم طاهري ، المصدر السابق ، ص٤٧٥ .

(٥٦) محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ميلادي ، جلد دوم ، تهران ١٣٣٦ ، ص٤٧٥ .

(٥٧) جهانكيز قائم مقامي ، المصدر السابق ، ص٧٣-٧٦ .

(٥٨) حسن اعظم قدسي (اعظم الوزارة) ، كتاب خاطرات من ياروشن شدن تاريخ صد ساله ، جلد أول ، تهران ١٣٤٢ ، ص٧٣-٧٥ ؛ علي أصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٩٨-٢٠٠ .

(٥٩) الدكتر ابو القاسم طاهري ، المصدر السابق ، ص٣٠٤ .

(٦٠) عبد الله رازي ، المصدر السابق ، ص٤٥٣ .

(66) N.R. Keddie , Iran : Religion , Politics and Society, pp. 119-120.

(67) H. Algar , Op . Cit . , p . 155 .

(٦٨) خليل ابراهيم صالح المشهداني ، المصدر السابق ، ص٩٤ .

(69) L.M. Kulagina , Bkcpansia Angliskove Imperializma V, Iran V Kontse XIX Nachale XX V. , Moscow , 1981 , p. 132 .

ل.م. كولاجينا ، تغلغل الاستعمار الانكليزي في ايران في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، موسكو ١٩٨١ ، ص١٣٢ .

(٧٠) ولد ميرزا ملكم خان في مدينة جلفا عام ١٨٣٣ ، كان والده ميرزا يعقوب خان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية ، انتقل من جلفا الى طهران ودخل في الدين الاسلامي ، اصبح والده مترجما للغة الروسية في البلاط الملكي . في عام ١٨٤٣ ارسله والده الى فرنسا للدراسة ، واطلع هناك على معالم الحضارة الحديثة والافكار السياسية السائدة . مارس التدريس في دار الفنون ، بعدها عمل في السلك الدبلوماسي ، ومثل بلاده في باريس واشترك مع فروخ خان وزير الخارجية الايراني في المحادثات التي نتج عنها التوقيع على معاهدة باريس عام ١٨٥٧ ، في اعقاب الحرب البريطانية – الايرانية

Shaul Bakhash , Op . Cit . , pp. 6-7 ; A.Bausani , Op . Cit . , p. 169 ؛ مجلة الهلال ، ج٧ ، السنة ١٧ ، نيسان ١٩٠٩ ، ص٣٨٨ .

(٦٦) يذكر وليم يولك وريجارد جاميرز ، ان ملكوم خان أسس منظمة فراماشخانة في عام ١٨٥٩ .

W.R.Polk and R.L. Chambers , Op . Cit . , p. 150 .

(٦٧) للمزيد من المعلومات عن الماسونية ونشاطها في ايران يراجع ، اسماعيل رائين ، الماسونية في ايران ، ثلاث مجلدات ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، بلا.

(٦٨) المصدر نفسه ، م٢ ، القسم الأول ، ص٣٣-٦٥ ، ١٦٣

(٦٩) دكتر فرشته نورائي ، تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان ، ناظم الدولة ، تهران ، ١٣٥٢، ص٩٤-١٣١ ;

S.Bakhash , Op . Cit . , pp. 15-52 .

(٧٠) اسماعيل رائين ، المصدر السابق ، م٢ ، القسم الأول ص١٤٢-١٤٨ و ٢٠٦-٢٠٧ ؛ جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(٧١) اسماعيل رائين ، المصدر السابق ، م٢ ، القسم الأول ، ص١٥١ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص١٥١-١٥٢ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص١٥٣-١٥٥ و ص٢١٢ .

(٧٤) سليم واكيم ، ايران والعرب ، العلاقات العربية – الايرانية عبر التاريخ ، بيروت ١٩٦٨، ص١٥٩-١٦٠ .

(٧٥) ابراهيم تيموري ، عصربي خبري يا تاريخ امتيازات در ايران تهران١٣٣٢، ص١٩٧-١٠٥ .

(81) H.Algar , Op . Cit . , pp. 174-176 ؛
خان ملك ساساني ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

(82) L.M. Kulagina , Op . Cit . , P. 27 .

(٨٣) ابراهيم تيموري ، المصدر السابق ، ص١٣٩-١٤٠ .

(84) H.Algar , Mirza Malkum Khan , A Study in the History of Iranian Modernism , London , 1973 , pp. 108-109 .

(85) Ibid , p. 104 .

(٨٦) دكتر فرشته نورائي ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

(٨٧) دكتر ابو القاسم طاهري ، المصدر السابق ، ص٤٧٧-٤٧٩ ؛ خان ملك ساساني ، المصدر السابق ، ص٧٥-٧٦ ؛ محمود محمود ، المصدر السابق ، جلدسوم ، ص٧٩١-٧٩٢ .

(٨٨) على أصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٩٣-١٩٥ .

(٩١) الدكتر ابو القاسم طاهري ، المصدر السابق ، ص٥١٨ .
(٩٢) نقلا عن : طلال مجذوب ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦-١٩٧٩ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٤٨ .
(٩٣) نقلا عن : اسماعيل رائين ، المصدر السابق ، م١ ، ق١ ، ص١٤٠ .
(92) L.M. Kulagina , Op . Cit . , p. 75 .
(93) Ibid , p. 113 .
(٩٤) اسعد محمد زيدان، سياسة ايران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩-١٩٢٥، البصرة ١٩٨٧ ، ص٥١-٥٢ .
(95) S.Bakhash , Op . Cit . , p. 3.
(٩٦) اسعد محمد زيدان ، المصدر السابق ، ص٥٢ .
(97) Julian Bharier , Op . Cit . , p. 38 .
(٩٨) للمزيد من التفاصيل عن الامتيازات البريطانية والروسية يراجع : ابراهيم تيموري ، المصدر السابق .
(99) Hafez . F. Farmayan , The Foreign Policy of Iran . A Historical An Alysis 559 B.C. AD , 1971 , Utah , 1971 , p. 17.
(١٠٠) ارانولد . ن . ويلسون ، المصدر السابق ، ص١٨٣ .
(101) Homa Katouzian , The Plitical Economy of Modern Iran , Despotism and Pseudo Modernism . 1926-1979 , Hong Kong , 1981 , p. 54 .
(102) A. Ahmad Ashraf , Historical Obstaeles to the Development of the Bourgeoise in Iran “Studies in the Economic History of the Middle East” London . 1970 , pp. 325-326 .
(103) J. Bharier , Op . Cit . , p . 36 .
(104) L.M. Kulagina , Op . Cit . , p . 122 .
(١٠٥) خليل ابراهيم صالح المشهداني ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .
(106) Richard N. Frye , Op . Cit . , p . 84 .
(107) Rose Greaves, Iranian Relations With Great Britain and British India, 1798-1921 , The Cambridge History of Iran , Vol . 7 , From Nadir Shah To the Islamis Republic , Ed . by Peter Avery , Cambridge Un . 1881 , p. 400.
(108) V. Akademiya , Op. Cit . , pp. 124-127 .

(109) Ibid , p. 138 .

(١١٠) لطف قلي حسام معزي ، تاريخ روابط سياسي ايران بادنيا ازهجامنش تحولات اخير ، جلد اول ، جاب اول ، تهران ، ١٣٢٤ ، ص٣٧٩ ؛ اريا . ى . يودفات ، الاتحاد السوفيتي وايران الثورية ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٧ .

(111) L.M. Kulagina , Op . Cit . , p. 130 .

(١١٢) أمير طاهري ، محركات السياسة الداخلية ، فصل من كتاب (يران في الثمانينات) ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ١٩٨٢ ، ص٩ .

(١١٣) دكتر محمد جواد مشكور ، تاريخ ايران زيمن ازروزكار باستان تاعصر حاضر ، تهران ٢٥٣٦ ، ص٣٩٣-٣٩٤ .

(١١٤) خليل ابراهيم صالح المشهداني ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

(115) Nikki R. Keddie , An Islamic Response to Imperialism , Political and Rellgions Writings of Sayyid Jamal ad – Din , California , 1968 , pp.26-27 .

(116) Ibid , p. 28 .

(117) Edward J. Lazzerini , "Sayyid Jamal ad-Din-Afghani From the Perspective of a Russian Muslim" Towards A Modern Iran , Studies in thought , Politics and Society , Edi , Elie Kedouria and Sylvia G. Haim , Frank Cass , 1980 , p . 60 .

(١١٨) نبيل عامر صبيح ، صفحات مجهولة من حياة الافغاني في روسيا القيصرية، العربي (مجلة) ، العدد ٢٢٦ ، الكويت ايلول ١٩٧٧ ، ص٢٦ .

(119) P. Avery , Op . Cit . , p . 97 .

(١٢٠) للمزيد من المعلومات عن آراء الافغاني يراجع :
علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص١٨٥-١٨٩ .

(121) A.Algar , Religion and State in Iran , pp. 200-201 .

(١٢٢) محمد عمارة ، جمال الدين الافغاني ، الاعمال الكاملة ، ج١ ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٤٢ .

(123) N.R. Keddie , An Islamic Response to Imperialism , p . 28 .

(١٢٤) للمزيد من التفاصيل عن امتياز التبغ يراجع :

J.C. Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East A Documentary Record 1535-1914 , Vol . I , New York , 1972 . pp. 205-206 ؛

محمود محمود ، المصدر السابق ، جلد جهارم ، ص١١٧٥ .

(١٢٥) ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان ، مجلد اول ، جاب دوم ، تهران ١٣٢٤، ص٢٠-٢٢ ؛ جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(126) E.G. Browne , Op . Cit . , pp. 35-50 ؛

جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

(127) M. Bayat and Philipp , "Mirza Aga Khan Kirmani" A Nineteenth Century Persian Nationalist , Towarde A Modern Iran , Studies in thought , Politics and Society , Edi , Eile Kedourie and Sylvia G. Haim Fronk Cass , 1980 , pp. 66-67 .

(128) A.Avery , Op . Cit . , p. 104 .

(١٢٩) للمزيد من التفاصيل عن اسباب قيام ميرزا رضا الكرماني بقتل ناصر الدين شاه يراجع : ناظم الاسلام كرماني ، المصدر السابق ، ص٧٦-٩٧ ؛ اسماعيل رائين ، المصدر السابق ، م٢ ، القسم الأول ، ص٢٤-٢٥ .

(١٣٠) علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٢٨٨-٢٩٠ ؛ جان فوران ، المصدر السابق ، ص٢٦٠ .

(١٣١) شركة ملي نفت ايران ، تاريخية وستن فراردارهاي مربوط به نفت ايران اسفندماه ، ١٣٤٤ ، ص٢-٤ ;

B.Shwadran , The Middle East Oil and the Great Poweres , New York , 1954 , pp. 13-21 .

(١٣٢) مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطية ايران ، جلد أول ، تهران ١٣٣٨، ص١١٦.

(133) C.J.H. Hayes , A Political and Critral History of Europe , Vol . 2 . Tenth Printing , New York , 1951 , pp. 480-481 .

(134) Novae Istorie Stran Zarybegnoi , p. 424 .

(135) R.N. Frye , Op . cit . , p . 84 .

(١٣٦) مهدي ملكزاده ، المصدر السابق ، جلد أول ، ص١٨٧ .

(٣٧) حامد الغار ، دور العلماء المعارض في السياسة الايرانية المعاصرة ، ايران من ١٩٠٠-١٩٨٠ ، تعريب مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص١٨٠-١٨١ .

(٣٨) كلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٥٤-٥٥ .

(٣٩) للمزيد من التفاصيل عن الثورة الدستورية يراجع :

E.G. Browne , The Persian Revolution of 1905-1909 , New Impression , London , 1966 ; M.R. Afshari , The Pishivarn and Merchants in Precapitalist Iranian Society An Essay on the Background and Causes of the Constitutional Revolution , International Journal of Middle East Studies , Cambridge , Vol . 15 , No . 2 , May 1983 , pp. 133-153 ; N.R. Keddie , "Iranian Politics 1900-1905 : Background to Revolution "Part , I , II , Middle East Studies , London , Vol . 5 , No . I , January , 1969 , pp. 3-31 ; No . 2 , May , 1969 , pp. 151-167 ؛

مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد أول – جلد هفتم ، تهران ١٣٣٨.